Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami
EISSN: 2015-2783
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 4 ● No. 2 ● Issue 8 ● Autumn & Winter 2024

A Re-examination of the Qur'anic–Civilizational Thought of Sheikh Shamil Daghestani

Seyed Ebrahim Masumi[1]

Date Received: 2024/06/20 Date Accepted: 2024/10/15

Abstract

Sheikh Shamil Daghestani, living in a period marked by intense political and military tensions, sought to elevate Qur'anic teachings beyond theoretical concepts and turn them into practical plans for governance structure and civilizational movement in the Caucasus. The key question is how he managed to achieve this transformation under such difficult circumstances and what features distinguish his Qur'anic–civilizational thought. Using a historical–interpretive discourse analysis method, this study demonstrates that in Shamil's worldview, the concept of *tawhid* is presented as a tool for liberation from foreign domination. This concept served not only as the foundation of religious faith but also as a motivation for political resistance and the pursuit of independence. Moreover, the concept of *jihad* extends beyond its military dimension and is interpreted as a comprehensive process aimed at social reform and the construction of

1. Assistant Professor, Department of Islamic Studies, University of Kashan, Kashan, Iran. masomi6228@kashanu.ac.ir.

∗ Masumi, S. E. (2024). A Re-examination of the Qur'anic–Civilizational Thought of Sheikh Shamil Daghestani. *Al-Fikr al-Siyasi al-Islami, 4*(2), pp. 60-91. https://doi.org/10.22081/ipt.2026.74026.1047

© The author(s); **Type of article:** Research Article

a cohesive and justice-oriented community. Shamil's initiatives in establishing independent financial and educational systems reflect this civilizational a pproach, aiming to strengthen unity and self-sufficiency in the Caucasus. Based on Qur'anic principles of justice and *wilaya*, innovative political and social structures—such as the *Muridism* system—were created to promote cohesion and solidarity among diverse ethnic groups in the region. This politico-social system, founded on participation and adherence to a spiritual leader, successfully fostered remarkable unity. A comparison between Shamil's thought and contemporary Islamic movements, particularly Wahhabism, reveals that his emphasis on mysticism, *tariqa*, and spirituality constitutes his most significant distinction from more rigid and strict approaches. Ultimately, Shamil's thought represents a model of civilizational governance shaped through a practical, dynamic, and comprehensive interpretation of the Qur'an—one that, beyond his military achievements or failures, continues to serve as an inspiring example for the Islamic world and civilizational studies.

Keywords
Sheikh Shamil Daghestani; Qur'anic–civilizational thought; governance; civilizational movement; jihad; justice and *wilaya*.

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ٢٧٨٣-٢٠١٥
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ٤ ● العدد ٢ ● الرقم المسلسل للعدد ٨ ● الخريف و الشتاء ٢٠٢٤

إعادة قراءة الفكر القرآني – الحضاري للشيخ شامل الداغستاني

السيّد إبراهيم معصومي [١]

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٤/٠٦/٢٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٠/١٥

الملخص

سعى الشيخ شامل داغستاني في فترة مليئة بالتوتّرات السياسية والعسكرية إلى تجاوز المفاهيم النظرية للقرآن الكريم، وحوّل تعاليمه إلى خططٍ عمليةٍ لبناء هيكل الحوكمة وحركة الحركة الحضارية في منطقة القوقاز. والسؤال الرئيس هو: كيف تمكّن الشيخ شامل من تحقيق هذا التحوّل في ظروفٍ صعبةٍ، وما هي السمات التي ميّزت فكره القرآني ـ الحضاري؟ ومن خلال استخدام منهج تحليل الخطاب التاريخي- التفسيري، يتبيّن أنّ الشيخ شامل قد فسّر مفهوم التوحيد باعتباره أداةً للتحرّر من هيمنة الأجانب. ولم يكن هذا المفهوم أساسًا للإيمان الديني فحسب، بل كان دافعًا للمقاومة والاستقلال السياسي. كما أنّ مفهوم الجهاد تجاوز المعنى العسكري والقتال البدني، ليصبح عمليةً شاملةً للإصلاح الاجتماعي وبناء مجتمعٍ متماسكٍ يقوم على العدالة إنّ إجراءات الشيخ شامل في مجال إنشاء أنظمةٍ ماليّة وتعليميّة مستقلّة كانت تجسيداً عمليّاً لهذا المنهج الحضاريّ، إذ استهدفت تعزيز الوحدة والاكتفاء الذاتيّ في القوقاز. أُسّست هياكل سياسيّة واجتماعيّة جديدة، من أبرزها نظام المريديّة، بغية تحقيق الوحدة والتماسك والتضامن بين مختلف شعوب القوقاز. كان هذا النظام السياسيّ ـ الاجتماعيّ على المشاركة والاتباع للزعيم الروحي، ممّا حقّق تماسكًا ملحوظًا في المنطقة. وتُظهر المقارنة بين فكر الشيخ

١. أستاذ مساعد في قسم المعارف الإسلاميّة، جامعة كاشان، كاشان، إيران. masomi6228@kashanu.ac.ir

* معصومي ، السيّد إبراهيم. (٢٠٢٤م). **إعادة قراءة الفكر القرآني - الحضاري للشيخ شامل الداغستاني.** مجلة الفكر السياسي الإسلامي النصف سنوية العلمية، ٤ (٢)، الرقم المسلسل للعدد ٨، صص ٦٠-٩١.
https://doi.org/10.22081/ipt.2026.74026.1047

شامل والحركات الإسلاميّة المعاصرة، ولا سيّما الوهابيّة، أنّ تركيزه على التصوّف والطريقة والروحانيّة شكّل السمة المميّزة له إزاء المناهج المتشدّدة والجافّة للآخرين. وفي النهاية، يُعتبر فكر الشيخ شامل نموذجًا للحكم الحضاري، مبنيًّا على تفسيرٍ عملي وديناميكي وشاملٍ للقرآن الكريم، ويتجاوز الانتصارات والهزائم العسكرية، ليبقى رمزًا ملهمًا للعالم الإسلامي والدراسات الحضارية.

الكلمات المفتاحية

الشيخ شامل الداغستاني، الفكر القرآني- الحضاري، الحوكمة، الحركة الحضارية، الجهاد، العدالة والولاية.

المقدّمة

الشيخ شامل الداغستاني (١٧٩٧-١٨٧١م) هو رمز المقاومة التاريخية لشعب القوقاز ضد الإمبراطورية الروسية، وقد كان شخصيّةً تتجاوز حدود القائد العسكريّ المحض. فهو لم يكن زعيماً سياسيّاً ـ دينيّاً فحسب، بل كان أيضاً مُصلحاً اجتماعيّاً ومفكّراً استلهم من التعاليم القرآنيّة مشروعاً لبناء حضارةٍ محلّيّة مستقلّة في منطقة القوقاز. قامت هذه الحضارة على المبادئ الإسلامية، وكان هدفها الرئيس الدفاع عن الهوية الثقافية والدينية للشعب في مواجهة الغزو والاستعمار الأجنبي. تكمن أهميّة دراسة الفكر القرآنيّ للشيخ شامل في أنّه لم يكن مجرّد نظريّة كلاميّة (عقائديةٍ)، بل مثّل عقيدةً عمليّةً ومنهجاً للحُكم، أدّى دوراً محوريّاً في مختلف جوانب حياته، وكفاحه، والبُنى السياسيّة والاجتماعيّة لحركته (نورى، ١٣٦١ش، ص ٤٢). تسعى هذه المقالة، انطلاقاً من هاجس الكشف عن الأبعاد الأقلّ تداولاً في حركة الشيخ شامل، إلى إظهار أنّ نجاحه في تأسيس حركةٍ شاملةٍ ومستدامة لم يكن ثمرة عبقريّته العسكريّة فحسب، بل نتيجةً لنهجه الفريد في تحويل المبادئ القرآنيّة إلى مشروعٍ متكامل للحوكمة والبناء الحضاريّ. وبينما ركّزت كثيرٌ من الدراسات التاريخيّة على الجوانب العسكريّة والسياسيّة من كفاحه (Gammer, 1994, pp. 25-27)، يركّز هذا البحث على الأسس النظرية والقرآنية لفكره، مبرزًا تميّزه من خلال هذا المنهج التحليليّ ـ التفسيريّ. والسؤال الرئيس الذي تطرحه هذه الدراسة هو: كيف أعاد الشيخ شامل قراءة المفاهيم القرآنيّة الأساسية واستخدمها لإضفاء الشرعية على جهاده وحركته؟ كما تسعى هذه المقالة إلى الإجابة على الأسئلة التالية: ما دور مفاهيم مثل التوحيد والجهاد والإيثار والعدالة في فكره وأدائه الحضاريّ؟ وما هي أوجه التمايز بين فكره القرآني والحركات الإسلامية المعاصرة الأخرى؟

تهدف هذه المقالة إلى تحليل وتوضيح كيفيّة تحويل المفاهيم القرآنيّة الأساسية

إلى مبادئ عمليّة في البُنى الاجتماعيّة والسياسيّة والعسكريّة والثقافيّة لحركة الشيخ شامل. ومن هذا المنظور، يسعى البحث إلى إظهار كيف أنّه استلهم من القرآن لا للدفاع العسكريّ فحسب، بل لبناء مجتمعٍ جديدٍ (رسول‌اف، ۱۳۷۲ش، ص ۵۶). لقد تجاوز هذا المنهجُ مفهومَ الجهاد بمعناه العسكريّ المحدود، ليُعيد صياغته كعمليّةٍ شاملةٍ للإصلاح والبناء الاجتماعيّ، وقد تجلّى ذلك في إنشاء مؤسّسات ماليّة وتعليميّة مستقلّة (طهوری وجمشیدی، ۱۳۸۹ش، ص ۹۸). كما يتّضح أنّ التعاليم القرآنيّة في باب الولاية والعدالة في البنية السياسية للحركة، وخاصة في نظام «المريدية»، أدّت إلى تماسكٍ واتحادٍ غير مسبوقٍ بين قبائل القوقاز المختلفة (حسینی؛ عبدی؛ آقازاده، ۱۳۹۷ش). وفي الختام، يسعى هذا البحث إلى إظهار أنّه بالرغم من التشابهات الظاهريّة مع الحركات الإسلامية المعاصرة الأخرى، فإنّ فكر الشيخ شامل ـ بفضل تركيزه على التصوّف والطريقة النقشبنديّة ـ قدّم نموذجاً فكريّاً فريداً يبتعد عن الجمود والنزعات الظاهريّة التي اتّسمت بها بعض الحركات. إنَّ هذه النظرةَ إلى الشيخ شامل تُقدِّم صورةً متكاملةً لقائدٍ صانعٍ للحضارة ويجعل إرثه يتجاوز كونه مجرّد مقاومة تاريخية، ليغدو نموذجاً حيّاً وديناميّاً مُلهِماً للعالم الإسلامي (Creighton, 2005, pp.12-14).

١. خلفية الدراسة

يمكن تصنيف الدراسات التي تناولت الشيخ شامل وحركته إلى عدّة محاور رئيسة. فعلى الرغم من أنّ العديد من هذه الأعمال ركّزت على الجوانب العسكرية والسياسية لكفاحه، إلّا أنّ هناك دراساتٍ اهتمّت بالأبعاد الفكريّة والثقافيّة لفكره. ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب «Gammer, Moshe. (1994). Sheikh Shamil: The Life and Legacy» الذي يُعَدّ من أشمل وأوثق المصادر في هذا المجال، إذ ركّز أساساً على البُعد التاريخيّ ـ العسكريّ. ومع أنّ المؤلّف

أشار إلى أثر الإسلام في الحركة، إلّا أنّه لم يقدّم تحليلاً مُعَمّقاً لإعادة القراءة الإبداعيّة للمفاهيم القرآنيّة في فكر الشيخ شامل. كذلك، يركّز العمل الكلاسيكي «The Caucasian War and Imam Shamil's Resistance» (Baddeley, 1908). بشكلٍ كاملٍ على التاريخ العسكري، ولا يتناول الجوانب النظرية والفكرية لفكر الشيخ شامل. وبخلاف هذه الأعمال تتناول بعض المؤلّفات الفارسية، مثل كتاب «شیخ شامیل: بنیانگذار جمهوری اسلامی قفقاز، با رویکردی مثبت وتوصیفی»[1] لـ«مسعود نوری»، شخصية الشيخ شامل، بوصفه قائدًا إسلاميًا، غير أنّ معالجتها تبقى في إطار الوصف أكثر منها في إطار التحليل، ولا تسعى إلى استكشاف كيفية تفسير المفاهيم القرآنية أو تجلّيها في البُنى الحضارية لحركته. وفي مجال المقالات العلمية، تركّز دراسات مثل مقالة « Abbaszadeh, Mohammad. (2011) .The Role of Mysticism in the Caucasian Resistance: A Case Study of Imam Shamil»، بشكلٍ خاص على دور العرفان والتصوف في الحركة، غير أنّ هذا البحث يقتصر على تناول جانب واحد من فكره، في حين أنّ الدراسة الحالية تتناول بنظرةٍ أشمل عدّة مفاهيم قرآنية رئيسة (التوحيد، الجهاد، الولاية، والعدل) وعلاقتها ببعضها البعض في بناء مشروعٍ حضاريٍ. وأخيرًا، تقدّم مصادر مثل «Alekseev, Gromyko. (2001). Pobeda i soprotivlenie v Dagestane» وجهة نظر الطرف الآخر (روسيا)، وتنظر إلى الموضوع من منظورٍ عسكريٍ وسياسيٍ.

٢. التمايز (أو التميّز) المنهجيّ: من الوصف إلى تحليل الخطاب

إنّ معظم الدراسات السابقة، سواء كتاب «شیخ شامیل: بنیانگذار جمهوری

١. الشيخ شامل: مؤسّس الجمهورية الإسلامية في القوقاز.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

اسلامی قفقاز، با رویکردی مثبت وتوصیفی» لـ«مسعود نوری» أو مقالة «The Caucasian War and Imam Shamil's Resistance.(Baddeley, 1908)» لـ «جان اف. بدلی»، قد اتّبعت في الغالب المنهج الوصفيّ ـ التاريخيّ. فقد ركّزت هذه الأعمال على سرد الأحداث والمعارك والإجراءات العسكريّة للشيخ شامل، وفي أحسن الأحوال أشارت بشكلٍ عابرٍ إلى دور الإسلام في حركته. إنّ هذا البحث، باعتماده على منهج «تحليل الخطاب التاريخيّ ـ التفسيريّ»، يتجاوز حدود الوصف التقليديّ. فهذا المنهج يُتيح لنا أن ندرس فكر الشيخ شامل لا بوصفه ظاهرةً معزولة، بل باعتباره خطاباً حيّاً وديناميّاً في سياقه التاريخيّ والثقافيّ. وبدلاً من الاكتفاء بالسؤال: «ماذا حدث؟»، يسعى هذا البحث للإجابة عن هذا السؤال الجوهريّ: «كيف ولماذا تحوّل الفكر القرآنيّ للشيخ شامل إلى مشروعٍ حضاريّ؟» إنّ هذا المنهج يهدف إلى الكشف عن الطبقات العميقة والمعاني الكامنة وراء الأفعال والممارسات الظاهرية.

٣. التمايز المضمونيّ: التركيز على الفكر القرآنيّ ـ الحضاريّ

٣-١. الدراسة الشاملة للمفاهيم القرآنيّة في العمل الحضاري

لقد اكتفت العديد من الدراسات بتناول بُعد واحد من الأبعاد الفكرية للشيخ شامل؛ فعلى سبيل المثال، ركّزت مقالة محمّد عباس‌زاده حصريًا على دور التصوّف والعرفان في حركته. أمّا هذا البحث، فإنّه يتبنّى رؤيةً شاملةً وواسعة النطاق، إذ يعالج عدّة مفاهيم قرآنيّة مفتاحية ويُظهر كيف أنّ مفاهيم مثل التوحيد، والجهاد، والولاية، والعدالة قد ارتبطت في منظومة فكريّةٍ متماسكة. ولا يكتفي هذا البحث بتحليل كلّ مفهومٍ على حدة، بل يُظهر أيضًا كيف ترتبط هذه المفاهيم في تشكيل مشروعٍ حضاريٍ.

٢-٣. التحليل من الداخل بدلًا من التحليل من الخارج

إنّ أعمالاً مثل دراسات غامِر أو ألكسييف قد كُتبت في الغالب اعتماداً على مصادر خارجيّة (روسيّة وأوروبيّة). ورغم أنّ هذه المصادر ذات قيمةٍ تاريخيّة، فإنّها تقدّم رؤية «من الخارج» لحركة الشيخ شامل. أمّا هذا البحث الحالي، فيسعى إلى بلوغ فهمٍ «من الداخل»، من خلال الاعتماد على النصوص والوثائق المرتبطة بالشيخ شامل نفسه وتحليل خطابه. هذا المنهج يتيح لنا أن نقرأ فكره من منظوره الخاص، وليس من منظور أعدائه أو المراقبين الخارجيين.

٣-٣. التأكيد على الأبعاد البنائيّة في مقابل الأبعاد التدميريّة

إنَّ الحركات المعاصرة للشيخ شامل، كالوهابية، غالباً ما تُعرف بانتهاجها أساليب قهرية ونزعات تدميرية. وقد وضعت بعض الدراسات حركته في هذا الإطار أيضًا. غير أنّ هذا البحث يسلّط الضوء بشكلٍ خاصٍ على الجوانب البنائيّة والحضارية في حركة الشيخ شامل. يركّز بصورةٍ خاصّة على الجوانب البنائيّة والحضاريّة في مشروع الشيخ شامل. فإنشاء نظامٍ ماليّ مستقلّ، وتأسيس منظومةٍ تعليميّة محليّة، وتعزيز الإنتاج الداخليّ، كلّها شواهد وأدلّة ملموسة تُظهر أنّ الجهاد في رؤيته لم يكن عملًا تدميريًا، بل عملية إعمارية تهدف إلى بناء مجتمعٍ جديدٍ. هذا التمايز يُبرز فكر الشيخ شامل عن سائر الحركات الإسلاميّة المعاصرة له، ولا سيّما من حيث تركيزه على الأبعاد العرفانية والبنائيّة في مشروعه الحضاري.

وخلاصة القول، فإنّ هذا البحث، بتجاوزه التحليلات السردية والعسكرية البحتة، يركّز على إعادة القراءة الإبداعية للمفاهيم القرآنية وتجسيدها في العمل الحضاري. ويُفضي هذا المنهج إلى فهمٍ أعمق للأبعاد الفكريّة والثقافيّة لحركة القوقاز، كما يقدّم الإرث الخالد للشيخ شامل في صورة مشروعٍ حضاريّ متماسك.

٤. التعاريف

تُقدَّم التعاريف الآتية بغية بناء إطارٍ فكريٍّ متماسك وتوضيح المفاهيم الأساسيّة التي يقوم عليها البحث. هذه المفاهيم تشكّل المحاور الرئيسة في الفكر القرآنيّ ـ الحضاريّ للشيخ شامل الداغستاني، وفهمها بوضوح يُعَدّ مدخلاً ضرورياً للولوج إلى تحليلٍ أعمق لمسألة الحوكمة وحركة القوقاز.

٤-١. الفكر القرآنيّ ـ الحضاريّ

يشير هذا المفهوم إلى منهجٍ فكريّ يرى في القرآن الكريم مصدراً أساسياً ليس فقط للأحكام الفرديّة والعباديّة، بل كإطارٍ شاملٍ لبناء وتطوير وإدارة حضارةٍ إسلاميةٍ. ويتخطّى هذا الفكر نطاق القضايا الدينية البحتة، ويتناول أيضًا القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. والغاية النهائيّة هي بناء مجتمعٍ قائمٍ على المبادئ والقيم القرآنيّة، قادرٍ على أن يصبح حضارةً رائدةً ونموذجًا يُحتذى به (نوري، ١٣٦١ش، ص ٧٨).

٤-٢. الحوكمة

يشير مفهوم الحوكمة إلى مجموعةٍ من البُنى والعمليّات والمؤسّسات التي تُدار من خلالها شؤون المجتمع. في المنظور الإسلامي، تعني الحَوْكَمة إدارة المجتمع وفقًا للمبادئ الإلهية والعدالة. يتضمن هذا المفهوم كيفية اتّخاذ القرار، وتنفيذ السياسات، وتوزيع السلطة والمسؤوليّات داخل النظام السياسيّ. وتقوم الحَوْكَمة الإسلامية على مرتكزات أساسية، مثل المشورة والمساءلة (حسيني؛ عبدى؛ آقازاده، ١٣٩٧ش).

٤-٣. الحركة الحضاريّة

تُطلَق الحركة الحضاريّة على حركةٍ جماعيّةٍ هادفة تسعى إلى إحداث تحوّلٍ

جذريّ في مختلف أبعاد المجتمع، بما في ذلك الجوانب الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة. تهدف هذه الحركة إلى إحياء القيم، وتعزيز الهويّة، وبناء حضارةٍ جديدة أو إعادة بناء حضارةٍ سابقة على أسسٍ فكريةٍ محدّدة. وفي السياق الإسلاميّ، تسعى هذه الحركة إلى إحياء مجد الحضارة الإسلاميّة من جديد، وتقديمها بوصفها نموذجاً متقدّماً للعالم (رسول‌اف، ١٣٧٢ش، ص ٥٦).

٤-٤. العدالة

تُعرَّف العدالة في الرؤية الإسلاميّة بأنّها وضع كلّ شيءٍ في موضعه الصحيحيُعتبر هذا المفهوم أحد أهمّ المبادئ في الحُكم والسلوك الفرديّ والاجتماعيّ في الإسلام. ولا تقتصر العدالة على أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والقانونية فحسب، بل تشمل أيضًا معنى التوازن والاعتدال في جميع شؤون الحياة. وقد وردت العدالة في القرآن الكريم والأحاديث النبويّة باعتبارها أحد الأهداف الكبرى لبعثة الأنبياء وتأسيس الحكومات (Gammer,1994, pp.115-117).

٥-٤. الجهاد

الجهاد ـ المأخوذ من «الجَهْد» بمعنى السعي والكدح ـ يُشير في الفكر القرآنيّ يدلّ على المجاهدة الشاملة والمستمرّة في سبيل تحقيق المقاصد الإلهية ونيل رضاه. وهو مفهومٌ جامعٌ متعدّد الأبعاد، لا يقتصر على الحرب وحدها، ويتضمّن الجهاد ثلاثة أبعاد رئيسة:

١. الجهاد الأكبر: وهو مجاهدة النفس، ومكافحة الأهواء والضعف الأخلاقيّ، والسعي الدائم نحو التزكية وبناء الذات.

٢. الجهاد الأصغر: ويعني الكفاح المسلح والدفاع المشروع عن الدين والأرض وكرامة المسلمين في مواجهة العدوان.

٣. الجهاد الكبير: وهو الجهاد غير العسكريّ، ذو الطابع الحضاريّ، ويشمل الإصلاح الاجتماعيّ، وبناء أنظمة اقتصاديّة وتعليميّة عادلة، والكفاح الثقافي من أجل ارتقاء المجتمع.

ويتمثّل الهدف النهائي للجهاد في تشييد حضارةٍ عادلةٍ وموحّدة قائمة على التوحيد والشريعة (طهورى وجمشيدى، ١٣٨٩ش، ص ١٠٤).

٥. الإطار النظري: تحليل الخطاب التاريخي ـ التفسيري

يعتمد هذا البحث في تحليل الفكر القرآني - الحضاري للشيخ شامل الداغستاني على منهج تحليل الخطاب التاريخي – التفسيري. ويُعَدّ هذا المنهج أداةً فاعلة لفهم كيفية تشكّل المفاهيم وتحوّلها وتوظيفها في سياقها الزماني والاجتماعي الخاص. وعلى خلاف المناهج التقليدية التي تقتصر على سرد الوقائع والأحداث التاريخية، فإنّ هذا الإطار النظري يسعى إلى استكشاف المعاني والحجج والخطابات الكامنة أفعال وخطابات شخصية تاريخية ما. وفيما يخصّ الشيخ شامل، يتيح هذا المنهج للباحث أن لا يقتصر على ملاحظة ما قام به، بل أن يستكشف أيضًا لماذا أقدم على تلك الأفعال، وعلى أي منظومة فكرية استند في قراراته واختياراته. إنّ تحليل الخطاب التاريخي - التفسيري يتضمّن بُعدين رئيسين:

١-٥. البُعد التاريخي

في هذا البُعد، تُدرَس أفكار الشيخ شامل ضمن سياقها التاريخي الخاص، أي القرن التاسع عشر الميلادي في منطقة القوقاز. وتمتاز هذه الحقبة بالغزو العسكري للإمبراطورية الروسية ومساعيها لفرض ثقافة ونظام سياسي أجنبي (غير محلّي). ومن ثَمّ، تشكّل خطاب الشيخ شامل استجابةً لهذه الأزمة وفي مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك. يساعدنا هذا المنهج على فهم

كيف تحوّلت التعاليم الإسلامية والقرآنية، التي كانت موجودةً في المنطقة لقرونٍ، إلى خطابٍ فعّالٍ وحيويٍّ للمقاومة وبناء الحضارة في هذه الفترة الزمنية المحددة (Gammer,1994, pp. 45-47). وتوفّر مصادر مثل الوثائق التاريخية الروسية (ميخايلوويچ، ١٩٨٥م، ص ٥٧)، والمذكّرات العسكرية، ورسائل الشيخ شامل، المواد الأولية التي يقوم عليها هذا التحليل.

٢-٥. البُعد التفسيري

يتناول هذا البُعد كيفية تفسير وتأويل الشيخ شامل للمفاهيم القرآنية. فلم يكن ينظر إلى القرآن الكريم بوصفه نصًّا مقدّسًا فحسب، بل اعتبره «كتاب عمل» ودليلًا شاملًا للحياة الفردية والاجتماعية (نورى، ١٣٦١ش، ص ٩٦). وقد استند هذا التفسير إلى التقاليد العرفانية والفقهية للطريقة النقشبندية التي كان يتّبعها. فعلى سبيل المثال، لم يكن مفهوم «الجهاد» في خطابه يعني فقط الكفاح المسلح (الجهاد الأصغر) ضد العدو، بل كان يُطرح كعمليةٍ شاملةٍ لإصلاح النفس والمجتمع (الجهاد الأكبر). وهذا الفهم المزدوج للجهاد أتاح له أن لا يقتصر على تعبئة القوى العسكرية، بل أن يتوجّه أيضًا إلى تنظيم الشؤون المالية والتعليمية والقضائية، مُنشئًا بذلك بنيةً حُكميةً متماسكة.

٦. المفاهيم القرآنية المفتاحية في فكر الشيخ شامل

بناءً على الإطار النظري المذكور أعلاه، تُحَلَّلَ المفاهيم الآتية بوصفها مفاهيم أساسية في الفكر القرآني - الحضاري للشيخ شامل:

٦-١. التوحيد

في خطاب الشيخ شامل، تحوّل التوحيد من مجرّد مفهوم كلامي إلى مبدأٍ

سياسي واجتماعي. فقد اعتبر، بالاعتماد على هذا المبدأ، كل شكل من أشكال الهيمنة غير الإلهية مرفوضًا، واعتبر الكفاح ضد الإمبراطورية القيصرية الروسية مثالًا على محاربة الشرك والطاغوت. وقد منحت هذه القراءة الجديدة للتوحيد حركته شرعية إلهية، وحفّزت شعوب القوقاز على الثورة دفاعًا عن حرّيتهم ورفض الهيمنة غير الإلهية (طهورى وجمشيدى، ١٣٨٩ش، ص ٥٥). وقد وفّر التوحيد الأساس الفكري للوحدة بين مختلف شعوب القوقاز، وأوجد هويةً مشتركةً قائمةً على عقيدةٍ واحدة.

٦-٢. الجهاد

كما أُشير سابقًا، كان الجهاد في فكر الشيخ شامل مفهومًا متعدّد الأبعاد. فقد استلهم الشيخ شامل الجهاد من التعاليم القرآنية والسنة النبوية، واعتبره عملية مستمرة لبناء المجتمع والارتقاء به. وشمل هذا المفهوم الأعمال العسكرية، والإصلاحات القضائية، وإنشاء المدارس، بل وحتى إنتاج الأسلحة محليًا. هذه النظرة الشاملة للجهاد تختلف اختلافًا كبيرًا عن وجهات النظر السلفية-الجهادية التي تركّز بشكلٍ أساسي على البُعد العسكري (Rasulov,1993.pp. 78-80). ومن هذا المنظور، كان الجهاد في فكره «جهادًا حضاريًا».

٦-٣. العدالة والمساواة

كان الشيخ شامل يعتبر القرآن المصدر الرئيس لإقامة العدالة في المجتمع. وقد سعى من خلال تطبيق الشريعة ومكافحة الفساد والتمييز إلى بناء مجتمع عادل. وقد تجلّى هذا المبدأ القرآني في بنيته الحُكمية، ولا سيما في النظام القضائي. وكان هدفه أن يُنشئ مجتمعًا تُحترم فيه حقوق جميع الأفراد والشعوب، بغضّ النظر عن انتماءاتهم القبلية. لقد أدّى هذا المنهج دورًا حاسمًا في استقطاب الدعم

الشعبي وتحقيق تماسكٍ اجتماعيٍ غير مسبوقٍ (Akiner,1988, pp.112-115).

بشكلٍ عامٍ، يُتيح إطار تحليل الخطاب التاريخي - التفسيري للباحث دراسة فكر الشيخ شامل لا بوصفه ظاهرةً معزولة، بل باعتباره خطابًا حيًّا وديناميًّا في سياقه التاريخي والثقافي الخاص. ويساعد هذا المنهج الباحث على إدراك عمق وغنى الفكر القرآني - الحضاري لديه، وإظهار اختلافاته عن الحركات المعاصرة الأخرى، خاصةً في تركيزه على الأبعاد العرفانية والبنائية.

٧. الأسس النظرية للفكر القرآني عند الشيخ شامل

إنّ فكر الشيخ شامل الداغستاني، على خلاف التصوّر الشائع الذي يعتبره مجرّد قائدٍ عسكري، يرتكز على منظومة فكرية متماسكة وعميقة تتمحور حول القرآن الكريم. وتُظهر الدراسات أنّ الشيخ شامل لم يتعامل مع القرآن باعتباره كتابًا مقدّسًا للتلاوة فحسب، بل اعتبره «كتاب عمل» ودليلًا شاملًا للحُكم والأخلاق والسياسة (نورى، ١٣٦١ش، ص ٨٤). وقد منح هذا المنهج العملي في التعامل مع القرآن حركته شرعيةً إلهيةً وأسسًا نظريةً راسخة. وسعى الشيخ شامل بالاعتماد على هذه الأسس، إلى إحياء حضارة محلّية قائمة على المبادئ القرآنية في مواجهة الهيمنة الخارجية. وفي فكره، لم يكن القرآن مجرّد مرجع للأحكام الفقهية، بل كان خريطة طريق شاملة لكلّ أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية. وكان يعتقد أنّ الإجابة عن التحدّيات السياسية والاجتماعية في عصره، بما في ذلك مواجهة الاستعمار، ينبغي أن تُستمدّ من القرآن الكريم. إنّ هذه النظرة إلى القرآن كانت متجذّرةً في التصوّف وفي الطريقة النقشبنديّة، التي كان الشيخ شامل من أتباعها. في هذا المذهب تُرى الشريعةُ والطريقةُ في مسارٍ واحد، ويُعتَبر القرآنُ المصدرَ الأساسَ لكليهما، فهو دليلُ السلوك الروحي وكذلك العمل السياسي (Gammer,1994. pp. 60-62). ومن ثمّ، كانت جميع أعماله في التنظيم العسكري،

وإنشاء هيكل الحوكمة، وإقامة العدالة، كانت قائمة على تفسيرٍ دينامي وعمليّ للقرآن الكريم. وقد ميّز هذا المنهج حركته عن الحركات الأخرى التي اكتفت بالاعتماد على تفسيرات سطحية وظاهرية للدين (فكرت، ١٣٧٠ش).

لقد تحوّل مفهوم التوحيد في فكر الشيخ شامل من مجرّد قضية كلامية إلى مبدأٍ ثوريّ وعمليّ. فقد اعتقد، بالاعتماد على التعاليم القرآنية، أنّ الله وحده هو الحاكم المطلق على العالم، وأنّ كلّ سلطة غير إلهية، خاصةً سلطة الاستعمار الأجنبي، تتعارض مع هذا المبدأ. ومن هذا المنظور، لم يكن الكفاح ضدّ الإمبراطورية القيصرية الروسية مجرّد حربٍ من أجل الاستقلال السياسي، بل كان كفاحًا توحيديًّا ضدّ الشرك والطاغوت (طهورى وجمشيدى، ١٣٨٩ش، ص ٦٣).

وقد أضفت هذه القراءة الجديدة لمفهوم التوحيد شرعيةً إلهية على حركة القوقاز، وحفّزت الناس على النهوض لا دفاعًا عن قائد دنيوي، بل نصرةً للمبادئ الإلهية. وكان الأثر العملي لهذا المنظور التوحيدي هو إنشاء هوية مشتركة بين مختلف شعوب القوقاز. فعلى الرغم من الاختلافات العرقية والثقافية، فإنّ الاعتقاد المشترك بالتوحيد وحّدهم في جبهة واحدة في مواجهة العدو المشترك.

كان مفهوم الجهاد في فكر الشيخ شامل مفهومًا متعدّد الأبعاد وشاملًا، استلهمه من التعاليم القرآنية والتقاليد الصوفية. وقد طرح الجهاد في بُعدين رئيسين مترابطين:

١. الجهاد الأصغر (الكفاح الخارجي): يشير هذا البُعد من الجهاد إلى الكفاح المسلّح والدفاع عن الأرض والدين ضد العدوان الأجنبي. وقد استخدم الشيخ شامل آيات الجهاد والقتال في القرآن لتعبئة الناس وإضفاء الشرعية على كفاحه. وفي رسائله وخطبه، كان يحثّهم على الصبر والثبات ويغرس فيهم الأمل بالنصر النهائي للمؤمنين، معتبرًا أنّ الكفاح ليس واجبًا دينيًّا فحسب، بل هو أيضًا سبيلٌ للحفاظ على الهوية والكرامة (نورى، ١٣٦١ش، ص ٤٨).

٢. الجهاد الأكبر (الكفاح الداخلي): يحتلّ هذا البُعد من الجهاد مكانةً رفيعة في التقليد الصوفي، إذ يتعلّق بمجاهدة النفس، وبناء الذات، وتهذيب الأخلاق. وكان الشيخ شامل يؤكّد لأتباعه أنّ الانتصار في الجهاد الخارجي لا يتحقّق إلا بعد النجاح في الجهاد الداخلي. وقد ارتبط هذان البُعدان ارتباطًا وثيقًا، إذ كان يرى أنّ القائد والمجتمع لا يستطيعان الصمود أمام التحديات الكبرى ولا بناء حضارة حقيقية إلا إذا تحلّيا بإيمان راسخ، وتقوى، وفضائل أخلاقية (Abbaszadeh,2011.pp.18-20) وقد أضفى هذا الترابط بين نوعَي الجهاد عمقًا روحيًا على حركته، وحوّلها من مجرّد حركة عسكرية إلى حركة أخلاقيةٍ وحضارية.

وبناءً على ذلك، فإنّ الأسس النظرية للفكر القرآني عند الشيخ شامل تجاوزت مجرّد مقاربة تبسيطية للدين، وقدّمت منظومة فكرية معقّدة وحيوية جعلت القرآن الكريم المصدر الرئيس، والتوحيد والجهاد كمبادئ أساسية فيها. لقد استطاعت هذه المنظومة الفكرية إرساءَ دعائم حركة حضارية في القوقاز ، صمدت لسنوات طويلة في مواجهة إحدى أقوى الإمبراطوريات في العالم (Alekseev, 2001. Pp. 154-156).

٨. إعادة قراءة المفاهيم القرآنية في العمل الحضاري

تُعَدّ إعادة قراءة المفاهيم القرآنية في مجال العمل الحضاري أحد المناهج الأساسية في فهم أفكار القادة الدينيين-السياسيين الذين استطاعوا أن يوظّفوا التعاليم الدينية بما يتجاوز الأطر النظرية، في البُنى الاجتماعية والسياسية. ويُعدّ الشيخ شامل الداغستاني نموذجًا بارزًا ومثالاً حَيّاً لمثل هذا القائد الذي قدّم، من خلال تحليلٍ وتفسيرٍ خاصٍ للمفاهيم القرآنية، فلسفةً عمليةً واستراتيجيةً تهدف إلى بناء حركة حضارية في القوقاز. وفي هذا السياق، تم تطبيق مفاهيم مثل التوحيد،

والجهاد، والولاية، والإمامة، والعدالة كمبادئ قرآنيةٍ أساسيةٍ لا من منظور المعتقدات الدينية فحسب، بل باعتبارها مرتكزاتٍ رئيسةً لمشروع الحُكم وإعادة البناء الاجتماعي. في عصرنا الحاضر، تُتيح إعادة قراءة هذه المفاهيم في سياقها التاريخي، وتحليلها تحليلاً مقارنًا مع المناهج المعاصرة، فهْمًا أعمق لدور الشيخ شامل في تشكيل البُنى الحُكومية والحضارية. وتكمن أهمية هذه القراءة في أنّها تُظهر كيف يمكن للتعاليم القرآنية أن تتجاوز حدود الكتابات النظرية والأخلاقية، لتُصبح أساسًا للأنشطة العملية والسياسية ذات الآثار الحضارية الواسعة. وفي هذا القسم، يُدرس أولًا الصلة المباشرة بين المفاهيم القرآنية وتفسير الشيخ شامل لها، ثم يُحلّل كيفية تجلّي هذه المفاهيم في هياكله الحُكمية والاجتماعية. ويُعَدّ هذا المنهج مفتاحًا لفهم تأثير الدين في آليات البناء الحضاري خلال الفترات التاريخية الحرجة (فكرت، ١٣٧٠ش).

١-٨. التوحيد: من الاعتقاد إلى العمل الحضاري

في فكر الشيخ شامل، تحول التوحيد (وحدانية الله) من مجرد مبدأٍ عقائديٍ إلى قوةٍ ثوريةٍ محرّكةٍ شكّلت أساس مشروعه الحضاري. فقد كان التوحيد عنده مبدأً تحريريًّا يرفض كل أشكال السيادة غير الإلهية. هذا الفهم العميق للتوحيد حوّل الكفاح ضد الاستعمار الروسي إلى مهمّةٍ مقدّسة، وأوجد ـ بوصفه ركيزة أيديولوجية ـ وحدةً ومقاومةً لا مثيل لهما في مجتمع القوقاز. وسيتناول هذا القسم كيفية تحوّل هذا الاعتقاد العميق إلى محرّكٍ فعّال لإجراءاته الحضارية وممارساته في الحكم.

١-١-٨. الفكر القرآني للتوحيد في رؤية الشيخ شامل

حوّل الشيخ شامل التوحيد من مجرد مفهومٍ كلاميٍّ ونظريٍّ إلى مبدأٍ تحريريٍّ

وأساسي في الكفاح السياسي والاجتماعي .ولقد اختلفت هذه الرؤيةُ جوهرياً عن المقاربات التقليدية التي حصرت التوحيد في إطار المسائل الكلامية والاعتقادية فحسب. ففي خطاب الشيخ شامل، كان التوحيد يعني رفض كل أشكال السيادة غير الإلهية، وفي هذا الإطار، كان يعتبر الهيمنة الاستعمارية الروسية تجسيدًا واضحًا للشرك والطاغوت. رأى الشيخ شامل ـ مستنداً إلى التعاليم القرآنية ـ أنّ الكفاح ضد الروس لم يكن حرباً قومية أو وطنية، بل فريضةً دينيةً تهدف إلى التحرّر من عبودية غير الله والعودة إلى التوحيد الخالص. وقد منح هذا التفسيرُ الشرعيُّ حركةَ القوقاز شرعيةً إلهيةً، وشجّع الناس على النهوض من أجل القيم والمقاصد المقدّسة (طهورى وجمشيدى، ١٣٨٩ش، ص ٩٦). إنّ هذه الرؤية مثّلت امتداداً حيّاً لتقليدٍ فكريٍّ في العالم الإسلامي يرى أنّ السيادة لله وحده، ويعتبر كل سلطة أرضية تناقض إرادته سلطةً غير مشروعة (Gammer,1994, p. 71).

المجلد ٤ * العدد ٢ * الرقم المسلسل للعدد ٨ * الخريف والشتاء ٢٠٢٤

٢-١-٨. التجلّي الحضاري للتوحيد في أعمال الشيخ شامل

كانت لهذه النظرة التوحيدية آثارٌ حضاريةٌ عميقةٌ، إذ شكّلت العمود الفقري لحركته. فعلى الرغم من الاختلافات العرقية والثقافية والقبلية الكثيرة في منطقة القوقاز الجبلية، استطاع الشيخ شامل ـ بالارتكاز على الإيمان المشترك بالتوحيد ـ أن يؤسّس جبهةً موحّدةً من مختلف الشعوب (الشيشان، الداغستانيون، الشركس و...) في مواجهة العدو المشترك (حسينى؛ عبدى؛ آقازاده، ١٣٩٧ش). في هذا الإطار، أوجد الشيخ شامل هويةً جديدةً قائمةً على الاعتقاد المشترك لا على الانتماءات القبلية. وقد مكّنت هذه الهويةُ الناسَ من تجاوز خلافاتهم الداخلية، ليقاتلوا كأمّةٍ واحدةٍ من أجل هدفٍ مشترك. ويُظهر هذا النهج فهم الشيخ شامل العميق لإمكانات التعاليم القرآنية في تحقيق الوحدة لمواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية (Abbaszadeh, 2011.p. 26).

وعلاوةً على ذلك، وفّر التفسير التوحيدي للشيخ شامل الأساس الرئيس لبنية حكمه. فقد أقام نظامه السياسي على مبدأ السيادة الإلهية المطلقة، وعرّف نفسه بصفته «إماماً» وممثّلاً لهذه السيادة. ومنحته هذه المكانة سلطةً تتجاوز حدود الزعامة القبلية إذ جعل أوامره تُطاع وتُنفّذ ليس بسبب القوة العسكرية، بل بسبب الشرعية الدينية. وقد قدّم نظامه السياسي ـ الديني نموذجاً للحكم تُنظم فيه جميع القوانين والأنظمة وفقًا للشريعة والمبادئ القرآنية. وكان يعتقد أنّ المجتمع التوحيدي القائم على القوانين الإلهية وحده هو القادر على الصمود والمقاومة في وجه المستعمرين (Melikoff,1984, p. 112). عملت هذه النظرة إلى التوحيد كبرنامج شاملٍ للتحول الاجتماعي والثقافي؛ لأنّ الكفاح ضد الاستعمار، ومكافحة الفساد، والسعي لتعليم الناس، كانت جميعها تهدف إلى تحقيق مجتمعٍ توحيديٍ (يوسفى؛ مرادى، ١٣٩٣ش).

٢-٨. الجهاد: من الكفاح العسكري إلى الإعمار الاجتماعي

في فكر الشيخ شامل، كان الجهاد مفهومًا يتجاوز الكفاح العسكري البحت، فقد استلهم الشيخ شامل الجهاد من التعاليم القرآنية والتقاليد الصوفية، واعتبره عمليةً شاملةً لإصلاح المجتمع وبناء الحضارة. وتختلف هذه النظرة الشاملة للجهاد اختلافًا جوهريًا عن المقاربات السطحية التي اختزلته في بُعد القتال والحرب فقط. ففي نظره، كان الجهاد يتكوّن من بُعدين: داخليٍّ وخارجيٍّ، يعملان على نحوٍ متواصلٍ ومتكاملٍ معاً. كان الجهاد الأكبر كفاحًا ضد النفس وإصلاحًا داخليًا يُعتبر شرطًا مسبقًا لأي انتصارٍ في ساحة المعركة؛ بينما كان الجهاد الأصغر كفاحًا خارجيًا ضد العدو، لا يمكن أن يؤتي ثماره دون الجهاد الأكبر (سارلى، ١٣٧٣ش). أعطى هذا التفسير الشامل للجهاد حركة القوقاز عمقًا روحيًا وأخلاقيًا، وحوّلها إلى حركةٍ حضاريةٍ (درخشه؛ حضرتى، ١٤٠١ش).

٨-٢-١. الفكر القرآني للجهاد في رؤية الشيخ شامل

كان الشيخ شامل يستخدم آيات القرآن بشكلٍ هادف لإضفاء الشرعية على المقاومة وتشجيع الناس عليها. ففي رسائله وخطبه، كان يستشهد بالآيات المتعلقة بالصبر، والنصر النهائي للمؤمنين، ورفض الظلم .على سبيل المثال، كان يستشهد بآياتٍ مثل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور، ٥٥) لبثّ الأمل والصمود في قلوب الناس. كانت هذه الآيات تُطَمئنُ الناس بأنّ مقاومتهم ليست عبثيّةً ولا عديمةَ الجدوى، بل تحمل وعداً إلهياً بالنصر النهائي. كما أنّ الشيخ شامل، لتوضيح شرعية الكفاح، كان يستخدم أيضًا الآيات التي تدين الظلم والجور، ليُظهر أنّ جهادهم ليس مجرّد عملٍ سياسي، بل هو فريضةٌ دينية لإقامة العدل. وقد وفّر هذا الأسلوب من الاستدلال إطارًا عقائديًا قويًا للمجاهدين يتجاوز الدوافع العسكرية أو الوطنية البحتة (Gammer,1994, pp.112-116).

٨-٢-٢. التجلي الحضاري للجهاد في أعمال الشيخ شامل

لم تبقَ نظرة الشيخ شامل الشاملة للجهاد في المجال النظري فقط، بل تجلّت بوضوحٍ في أعماله الحضارية. فقد كان يعتقد أنّ الأمّة من أجل تحقيق النصر في الجهاد يجب أن تكون قويّةً ومكتفيةً ذاتياً في جميع جوانب حياتها. وقد أدّى هذا المنظور إلى تأسيس بنيةٍ للحكم تشمل جميع جوانب الحياة:

- النظام المالي: أنشأ الشيخ شامل نظاماً مالياً مستقلًّا قائماً على المبادئ الإسلامية (كالخُمس والزكاة). وقد مكّن هذا النظامُ من تمويل نفقات الحرب واحتياجات المجتمع من دون أيّ تبعيةٍ للخارج ولم يكن هذا الإجراء مجرّد ضرورةٍ عسكرية، بل كان عملًا حضاريًا يضمن الاستقلال المالي للمجتمع ويحول دون انتشار الفساد (نورى، ١٣٦١ش، ص ١١٢).

❖ النظام التعليمي: أولى الشيخ شامل اهتماماً كبيراً بتأسيس المدارس والكتاتيب. فقد كان يدرك أنّ الجهاد الأكبر (مجاهدة النفس) يتعزّز بالعلم والمعرفة. وكان يؤمن بأنّ الناس ينبغي أن يتعرّفوا على المعارف الدينية والقرآنية لتقويتهم فكريًا وعقائديًا. ولم تكن هذه المدارس تهدف فقط إلى تربية الجيل القادم فحسب، بل كانت تُستخدم أيضًا لتعليم العسكريين وزيادة الوعي العام، ولعبت دورًا حيويًا في تحقيق التماسك الفكري للحركة (طهوری وجمشیدی، ۱۳۸۹ش، ص۹۸).

❖ الإنتاج الداخلي: تحت قيادته، ازدهر الإنتاج الداخلي للأسلحة والبارود وغيرها من المعدّات العسكرية. ويُظهر هذا الإجراء نظرة الشيخ شامل البعيدة المدى (أو المستقبلية) للجهاد كمشروع للاكتفاء الذاتي. فلم يكن يريد أن يرتبط مصير الحركة بالاعتماد على المعدات الأجنبية. وقد حوّلت هذه الإجراءات الجهاد من مجرد حربٍ إلى مشروعٍ إعماريٍ وصناعيٍ يشمل جميع جوانب الحياة (Baddeley,1908, p. 301).

وفي النهاية، حوّل الشيخ شامل نظرته إلى الجهاد من حركةٍ عسكريةٍ محضةٍ إلى حركة حضاريةٍ متكاملة. فقد استطاع، من خلال ربط الجهاد الأكبر بالجهاد الأصغر، والتركيز على الإعمار الاجتماعي، أن يقدّم نموذجاً فريداً للحكم الإسلامي حافظ على صموده وتماسكه على مدار عقود من الصراع (Alekseev, 2001, pp.160-163). وقد اعتبر هذا المنهجُ الجهادَ شاملاً لجميع أبعاد الحياة، وهو ما شكّل سبباً رئيساً في نجاحه في إقامة دولةٍ مستقرةٍ في القوقاز.

۳-۸. الولاية والإمامة: نموذج القيادة الشرعية

ارتكز الفكر القرآني للشيخ شامل في مجال القيادة على مفهوم الولاية والإمامة. فقد استلهم من التعاليم القرآنية والسنة النبوية، وعرّف نفسه كـ«إمام» وقائد

روحي وسياسي للحركة. وقد منحته هذه المكانة الشرعية السلطة اللازمة لتوحيد الناس وإقامة دولة مستقلة (نورى، ١٣٦١ش، ص ١٦٥). اختلف هذا النهج اختلافًا جوهريًا عن القادة العسكريين البحت الذين أسّسوا سلطتهم على القوّة والقدرة العسكرية. ففي فكر الشيخ شامل، يجب أن يتمتع القائد بشرعيةٍ إلهيةٍ، ويكتسب هذه الشرعية من خلال الالتزام العملي بتعاليم القرآن. وقد منح هذا المفهومُ للإمامة الشيخَ شامل سلطةً تتجاوز حدود القبيلة، وجعل أوامره تُطاع ليس بسبب القوة العسكرية، بل بسبب الشرعية الدينية.

٨-٣-١. الأخلاق القرآنية في القيادة

كان الشيخ شامل يرى أنّ القائد الحقيقي ينبغي أن يكون مثالاً للفضائل الأخلاقية المتجذّرة في القرآن. ومن أبرز هذه الفضائل الإيثار، والشجاعة، والوفاء بالعهد، والصبر، وهي التي تجلّت في حياته وقيادته، فاستقطبت ثقة الناس وولاءهم الفريد (Gammer,1994, pp.88-90). وكان في رسائله وخطبه يصف هذه الفضائل بأنّها الأعمدة الرئيسة للقيادة، كما جسّدها عملياً في سلوكه وشخصه. فعلى سبيل المثال، كانت تُروى بين أهل القوقاز قصصٌ عن شجاعة الشيخ شامل وصبره في ساحة المعركة وكذلك عن وفائه بعهوده مع أتباعه، جيلاً بعد جيل. ولم تكن هذه الفضائل الأخلاقية سببًا في كسب ثقة الناس فحسب، بل منحت حركته أيضًا بُعدًا أخلاقيًا وروحيًا يتجاوز مجرد الصراع السياسي البسيط (درخشه؛ حضرتى، ١٤٠١ش).

٨-٣-٢. التجلّي الحضاري للولاية والإمامة

لم تقتصر ولاية وإمامة الشيخ شامل على المجال النظري، بل تجسّدت في بنية نظام المريدية. وقد تأسّس هذا النظام على علاقةٍ روحيةٍ وعاطفيةٍ عميقة بين

القائد (المرشد) وأتباعه (المريدين). ولم يكن هذا النظام مجرّد هيكلٍ سياسي، بل شكّل شبكةً اجتماعيةً وروحيةً أسهمت في تماسك الحركة وصمودها (سارلى، ١٣٧٣ش). في هذا النظام، كان المريدون يطيعون مرشدهم طاعةً مطلقةً، إذ كانوا يرونه ممثّلاً للشريعة والطريقة. وقد أدّت هذه العلاقة إلى إيجاد وحدةٍ وتماسكٍ غير مسبوقين في المنطقة، مما زاد بشكلٍ كبيرٍ من القدرة على مقاومة الإمبراطورية الروسية (Baddeley,1908, pp.112-115). كما أتاح هذا النظام القيادي للشيخ شامل أن يؤسّس هياكل حكمٍ فعّالةٍ وراسخة. وبالاعتماد على هذه السلطة الروحية، تمكّن الشيخ شامل من تجاوز الخلافات القبلية التي كانت دائمًا من التحديات الرئيسة في منطقة القوقاز، وأسّس دولة موحدة. وقدّمت هذه الدولة، بفضل وجود قوانينها وضرائبها ونظامها القضائي المستقل، نموذجًا للحكم الإسلامي مستمدًا من التعاليم القرآنية. ومن خلال ذلك، أظهر أنّه يمكن ـ حتى في الظروف الحرجة ـ إنشاءُ بنيةٍ سياسيةٍ مستقرةٍ وفعّالةٍ بالاعتماد على المبادئ الدينية (Alekseev, 2001, pp.153-155).

وفي النهاية، قدّمت ولاية وإمامة الشيخ شامل نموذجاً قيادياً متجذّراً في الأخلاق والروحانية. وقد مكّن هذا النموذجُ الشيخَ من قيادة حركة لم تكن عسكريةً فحسب، بل مشروعاً حضارياً ارتبط فيه الإيمان والأخلاق والحُكم ببعضهم البعض. وقد ألهمت هذه النظرة إلى القيادة العديد من الحركات الإسلامية على مر التاريخ، وأظهرت أنّ القوة الحقيقية تكمن ليس في القوة، بل في الشرعية الإلهية والفضائل الأخلاقية (Melikoff,1984, pp.156-158).

٤-٨. العدالة: أساس البنية الاجتماعية

في فكر الشيخ شامل، لم تكن العدالة مجرّدَ مثَلٍ أخلاقيٍّ أو مفهوماً مجرّداً، بل كانت مبدأً عملياً لإرساء النظام والتماسك والاستقرار الاجتماعي. فقد نظر إليها

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

باعتبارها أساس الحكم وركيزة المجتمع الإسلامي، وكان يؤمن أنّه من دون تطبيق العدالة لن تصمد أيّ مقاومةٍ أمام الظلم. وترتكز هذه النظرة للعدالة على التعاليم القرآنية التي تؤكد على أهمية إقامة القسط والمساواة. واستلهم الشيخ شامل من آيات القرآن فاعتبر العدالة واجبًا إلهيًا على القائد والحاكم ليُعامل الناس بالحق والإنصاف.

١-٤-٨. الفكر القرآني للعدالة والبنية الاجتماعية-السياسية

استلهم الشيخ شامل من التعاليم القرآنية مفاهيمَ كالشورى والعدالة، وطبّقها في بنيته الحكوميّة. ففي نظام المريدية، الذي تأسّس على الطاعة لمرشدٍ ملتزمٍ وإلهيٍ، كان يستخدم أيضًا المجالس الاستشارية لاتخاذ القرارات المصيرية. وعلى الرغم من أنّ هذه المجالس كانت تعمل ضمن إطار ولايته وإمامته، إلّا أنها ساعدت على مشاركة الناس في الحكم وسماع أصواتهم. ويُظهر هذا المنهج إدراكه لحيوية التعاليم القرآنية، إذ كان يسعى إلى نموذجٍ للحكم يجمع بين الشرعية الإلهية والاستجابة لاحتياجات الناس الاجتماعية والسياسية (نورى، ١٣٦١ش، ص١٧٨).

٢-٤-٨. التجلّي الحضاري للعدالة في أعمال الشيخ شامل

تجلّت النظرة العملية للشيخ شامل للعدالة بوضوح في إصلاحاته وإجراءاته في المجالات القضائية والاجتماعية:

- ✓ الإصلاحات القضائية: أنشأ نظامًا قضائيًا عادلًا قائمًا على الشريعة الإسلامية للقضاء على الفساد والتمييز. وكان يعتقد أنّ الخلافات القبلية والنزاعات الداخلية تشكّل أكبر تهديد لوحدة الحركة. لذلك، من خلال تطبيق العدالة والنظر في الشكاوى، سعى إلى حل هذه الخلافات وبناء مجتمعٍ متماسك. وقد أدّت هذه الإصلاحات إلى تعزيز ثقة الناس بقيادته

وتعزيز التماسك الاجتماعي (Gammer,1994, pp.119-1121).

- ✓ القضاء على التمييز: كان هدف الشيخ شامل بناء مجتمعٍ عادلٍ تُحترم فيه حقوق جميع الأفراد والشعوب. وعلى الرغم من التنوع العرقي في القوقاز، سعى الشيخ شامل إلى تطبيق مبدأ المساواة في توزيع الموارد والمهام والمسؤوليات. وقد أدّى هذا النهج إلى شعور القبائل المختلفة، بغضّ النظر عن انتماءاتها القومية، بأنّها جزءٌ من مجتمعٍ أكبر وأكثر عدلاً. وكان لهذا الأمر دورٌ حاسمٌ في استقطاب دعم القبائل غير الداغستانية (طهورى وجمشيدى، ۱۳۸۹ش، ص ۱۰۵).
- ✓ مكافحة الفساد: كان الفساد المالي والإداري بين الحكّام المحليين من أحد المشاكل الأساسية في المنطقة. وقد حارب الشيخ شامل الفساد من خلال تطبيق القوانين بصرامة، وبذلك وعزّز بذلك شرعية حكمه بين الناس. وكان يعلم أنّه من دون العدالة لا يمكن أبدًا تحقيق الهدف السامي للجهاد والبناء الحضاري (Alekseev,2001, pp.170-174).

بشكل عام، كانت العدالة في فكر الشيخ شامل وعمله مبدأً أساسيًا للحكم المستدام وبناء الحضارة. فقد حوّل العدالة من مجرد مثال إلى مبدأ عملي، وتمكّن بذلك من إقامة نظام حكم يضمن حقوق الناس ويعزز التماسك الاجتماعي في مواجهة العدو الخارجي. وقد ترك هذا النهج إرثًا دائمًا يُظهر أنّ العدالة ليست مجرّد فضيلةٍ أخلاقية، بل هي أساسُ مجتمعٍ مقاومٍ وحيويّ (Baddeley,1908, p. 314).

۹. المقارنة والتمييز: الفكر القرآني للشيخ شامل في مواجهة السلفية والحركات الأخرى

لفهم عمق وأصالة الفكر القرآني للشيخ شامل، لا بدّ من دراسته في سياق الحركات الإسلامية المعاصرة له ومقارنته بها فهذه المقارنة لا تسهم فقط في إيضاح الأبعاد الفريدة لحركته، بل تكشف أيضاً عن سرّ قدرته على صياغة

مقاومةٍ مستدامة في مواجهة الإمبراطورية الروسية .وفي هذا القسم، يُقارن فكر الشيخ شامل بشكلٍ خاصٍ بالحركات السلفية ـ الجهادية المعاصرة، مثل الوهابية، لتتجلّى الفوارق الجوهرية في الأسس الفكرية والتجليات الحضارية لكلٍّ منها.

١-٩. التمايز في الأسس النظرية: التصوّف والشريعة

أحد أبرز تميزات فكر الشيخ شامل هو تأكيده على العرفان (التصوّف) والطريقة النقشبندية، وهو ما كان غائباً عن كثيرٍ من الحركات الإسلامية المعاصرة له، ولا سيّما الوهابية. فالوهابية، التي كانت تتشكّل في شبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة، اتّبعت منهجاً ظاهرياً تمامًا تجاه الدين، وتعتبر أي عرفانٍ أو تصوفٍ شركًا وبدعةً، وتحاربهما بشدةٍ (محبوب عالم، ١٩٨٣م، ج١١، ص١٧٨). وعلى النقيض من ذلك، أسّس الشيخ شامل حركته على الربط العميق بين الشريعة والطريقة. فقد كان يعتقد أنّ الجهاد الأصغر (المواجهة الخارجية) لا يثمر إلا إذا اقترن بالانتصار في الجهاد الأكبر (مجاهدة النفس)، وهو ما يتحقّق عبر السير والسلوك العرفاني وتزكية النفس. وقد منح هذا المنهج المزدوج حركة القوقاز عمقاً روحياً أبعدها عن الجمود والظاهرية المحضة، وأسهم في تعزيز تماسك الأتباع على نحوٍ أعمق (Abbaszadeh, 2011.pp. 20-22).

٢-٩. التمايز في المنهج السياسي والاجتماعي

كان الاختلاف الآخر في المنهج السياسي والاجتماعي لهذه الحركات. فالوهابية، في بداياتها، اعتمدت على تحالفها مع آل سعود لتأسيس دولةٍ دينية في شبه الجزيرة العربية، قامت منذ البداية على هويةٍ قوميةٍ (قبيلة نجد). في المقابل، فقد تمكّن الشيخ شامل في القوقاز، على الرغم من التنوع الهائل للشعوب والقبائل، من إنشاء هويةٍ فوق قومية قائمةً على المبادئ القرآنية والولاية

الروحية. وقد تجلّى هذا التمايز أيضاً في هيكل الحكم، ففي حين كانت الوهابية تتبنى نظامًا سياسيًا مركزيًا وغالبًا استبداديًا، استفاد الشيخ شامل، على الرغم من موقعه كإمام، من نظام المريدية والمجالس الاستشارية لتعزيز مشاركة الناس في الحكم (Melikoff,1984, pp.168-172). لقد سعى إلى إقامة دولة عادلة وقائمةٍ على المُساواة تُحترم فيها حقوق جميع الشعوب والأفراد، بغض النظر عن الانتماءات القبلية (طهورى وجمشيدى، ١٣٨٩ش، ص ١١٣). لم ينجح هذا المنهج في استقطاب الدعم الشعبي فحسب، بل كان أكثر مرونةً وديناميكيةً مقارنةً بالمناهج القبلية (ذات النزعة القبلية)

٣-٩. التمايز في النظرة إلى الجهاد وبناء الحضارة

كما نوقش سابقًا، كان الجهاد في فكر الشيخ شامل عمليةً شاملةً للإعمار وبناء الحضارة، تشمل الإصلاحات التعليمية والمالية والقضائية وحتى الإنتاج المحلي. اختلفت هذه النظرة اختلافًا ملحوظًا عن المناهج العسكرية البحتة. فقد أدرك الشيخ شامل أنّ الحركة لا تنتصر بالقوّة العسكرية وحدها، بل تحتاج إلى أسسٍ اقتصادية وثقافية واجتماعية راسخة (نورى، ١٣٦١ش، ص ١٢٤). على النقيض من ذلك، كانت بعض الحركات السلفية تحصر الجهاد في بُعده العسكري، ولا تُولي اهتمامًا كافيًا لجوانب بناء الحضارة والإعمار الاجتماعي. أعطى هذا الاختلاف في النظرة إلى الجهاد حركة القوقاز بُعدًا بنّاءً وحيوياً، مكّنها عبر عقودٍ من الكفاح من الحفاظ على صمودها وتماسكها (Gammer,1994, pp.145-147).

وبشكلٍ عامٍ، يمكن القول إنّ الفكر القرآني للشيخ شامل، بسبب الارتباط العميق بين الشريعة والطريقة، والنهج فوق القومي في القيادة، والنظرة الشاملة إلى الجهاد كعمليةٍ لبناء الحضارة، يقدّم نموذجاً فريداً في تاريخ الحركات الإسلامية. وقد ألهم هذا النموذجُ العديدَ من حركات التحرّر في العالم الإسلامي،

ويُظهر أنّ سبيل التحرّر لا يتحقق من خلال الكفاح العسكري وحده، بل يتطلب تحولًا فكريًا وأخلاقيًا وحضاريًا شاملًا.

النتيجة

لقد هدفت هذه الدراسة إلى تحليل وتوضيح الأبعاد الأقل شهرةً للفكر القرآني للشيخ شامل الداغستاني، وأظهرت أنّه كان شخصية تتجاوز حدود القائد العسكري. وتؤكّد نتائج هذه المقالة بوضوح أنّ الشيخ شامل، من خلال إعادة قراءةٍ إبداعيةٍ وعمليةٍ للمفاهيم القرآنية الأساسية، استطاع أن يؤسّس حضارةً مستقلّةً وحيويةً في قلب القوقاز. دافعت هذه الحضارة، بالاعتماد على المبادئ الإسلامية، عن هوية وثقافة شعب المنطقة في مواجهة تحديات الاستعمار والتهديدات الخارجية. وعلى خلاف المقاربات السطحية للدين، لم ينظر الشيخ شامل إلى القرآن الكريم بوصفه كتابًا مقدّسًا فحسب، بل اعتبره «كتابَ عملٍ» وخارطةَ طريقٍ شاملةً للحكم والأخلاق والسياسة. وتُبيّن نتائج هذا البحث أنّ المفاهيم القرآنية في فكر الشيخ شامل تحوّلت إلى مبادئ عملية شكّلت الأسس الاجتماعية والسياسية والعسكرية لحركته:

- التوحيد: تحوّل هذا المفهوم من مبدأٍ كلاميّ (عقائديٍ) إلى مبدأٍ تحرّيري يعتبر الكفاح ضد الاستعمار الروسي تجسيدًا لمكافحة الشرك والطاغوت. مهّدت هذه النظرة التوحيدية الطريق لإنشاء هويةٍ جديدةٍ وفوق قوميةٍ، شكّلت جبهةً موحّدةً ضد العدو المشترك على الرغم من التنوع الهائل للقبائل.
- الجهاد: لم يكن الجهاد في نظره مقتصرًا على القتال والحرب فحسب، بل كان عمليةً شاملةً للإعمار والبناء الحضاري. وقد أفضت هذه الرؤية إلى تأسيس أنظمةٍ مالية وتعليمية وقضائية، بل وإلى تطوير الإنتاج الداخلي،

بما يعكس الاكتفاء الذاتي والحيوية التي اتّسمت بها حركته.

- الولاية والإمامة: إنّ الشيخ شامل - استلهامًا من التعاليم القرآنية - كان يعتبر نفسه «إمامًا» وقائدًا روحيًا وسياسيًا. وقد وفّر له هذا الموقع الشرعية والسلطة اللازمة لتوحيد الناس، وتجسّد ذلك في نظام المريدية الذي قام على علاقةٍ روحيةٍ وعاطفيةٍ بين القائد وأتباعه.
- العدالة: حوّل الشيخ شامل العدالة من مجرّد مثَلٍ أخلاقي إلى مبدأٍ عملي، فبادر إلى تنفيذ إصلاحاتٍ قضائية ومكافحة الفساد، وأسّس مجتمعًا عادلًا تحترم فيه حقوق جميع الأفراد والشعوب. وقد ساعدت هذه الإجراءات على تعزيز تماسك حركته وصمودها، وجعلتها أكثر قدرةً على مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية.

إنّ إرث الشيخ شامل لا يقتصر على انتصاراته وهزائمه العسكرية ولا على قصصه البطولية فحسب، بل يكمن في مشروعه الحضاري. فقد أثبت أنّ الإيمان والأخلاق والحكم يمكن أن تتكامل وتتآزر لتشكّل نموذجًا راسخًا للمقاومة المستدامة. ولا يزال هذا الإرث مصدر إلهامٍ للعالم الإسلامي، ولا سيّما لبلدان منطقة القوقاز. في عالمنا المعاصر، حيث تواجه كثيرٌ من المجتمعات تحدّياتٍ هويّاتية وتهديداتٍ استعماريةً جديدة، يمكن أن يُعدّ نموذج الشيخ شامل دليلاً لبناء مجتمعاتٍ مقاومةٍ ومتماسكةٍ ومكتفيةٍ ذاتياً. ويؤكّد هذا البحث أنّ القوّة الحقيقية للقائد لا تكمن في قدرته العسكرية فحسب، بل في قدرته على الإلهام وتحويل المعتقدات الروحية إلى مشروعٍ حضاريٍّ شامل.

المصادر

١. حسینی، سجاد؛ عبدی، حسن؛ آقازاده، جعفر. (١٣٩٧ش). زمینه‌های شکل‌گیری واحد اداری - سرزمینی قفقاز در جغرافیای سیاسی امپراتوری روسیه تزاری. جغرافیای سیاسی دانشگاه پیام نور، ١٢(٤٨)، صص ١٣٥ - ١٥٩.

٢. درخشه، جلال؛ حضرتی، محمد امین. (١٤٠١ش). تحلیلی بر جنبش اسلامی داغستان. پژوهش های سیاسی جهان اسلام. ١٢(٣)، صص ١٥٧-١٨٩.

٣. رسول‌اف، لطفی. (١٣٧٢ش). داغستان در جنگ قفقاز. داغستان: انتشارات دولتی جمهوری داغستان.

٤. سارلی، اراز محمد. (١٣٧٣ش). نهضت اسلامی شیخ شامل. کیهان فرهنگی. شماره ١٠٨، صص ٢٤-٢٥.

٥. طهوری، مجتبی؛ جمشیدی، علی. (١٣٨٩). مطالعات در اندیشه و عمل شیخ شامل. تهران: موسسه فرهنگی مدرسه برهان.

٦. طهوری، مهدی؛ جمشیدی، فریده. (١٣٨٩ش). سلحشوران داغستان: روایتی از زندگی شیخ شامل داغستانی. تهران: موسسه فرهنگی مدرسه برهان.

٧. فکرت، ایشیلتان. (١٣٧٠ش). شیخ شامل (مترجم: علی کاتبی). تحقیقات اسلامی، ٦(١ و ٢ ISC) ، صص ٢٣٢ - ٢٤٧ .

٨. محبوب عالم، منشی. (١٩٨٣م). دائرة المعارف الإسلامية -لغة الأردو (ج١١). پاکستان: انتشارات اردو.

٩. میخایلوویچ، الکسی. (١٩٨٥م). شیخ شامل در اسناد تاریخی روسیه. وزارت امور خارجه روسیه.

http://ipt.isca.ac.ir
Publisher: Islamic Sciences and Culture Academy

۱۰. نوری، مسعود. (۱۳۶۱ش). شیخ شامیل: بنیانگذار جمهوری اسلامی قفقاز. تهران: انتشارات نور.

۱۱. یوسفی، محمدرضا؛ مرادی، نصرت. (۱۳۹۳). پژوهشی در شرح حال و آثار واله داغستانی. ـ پژوهشی ادب فارسی، دوره جدید، ٦(۲۳)، صص ۳۷-٥٦.

12. Abbaszadeh, Mohammad. (2011). *The Role of Mysticism in the Caucasian Resistance: A Case Study of Imam Shamil*.

13. Akiner, Shirin .(1988) .(*Islamic Peoples of the Soviet Union* .Tehran: Ilmi va Farhangi.

14. Alekseev, Gromyko. (2001). *Pobeda i soprotivlenie v Dagestane* .Nauka, Sankt-Peterburg.

15. Baddeley, John F. (1908). *The Caucasian War and Imam Shamil's Resistance* .Longmans, Green and Co.

16. Creighton, Nathaniel. (2005). *The legacy of Imam Shamil in modern Caucasus* .*Caucasus Historical Review*.

17. Gammer, Moshe. (1994). *Sheikh Shamil: The Life and Legacy* .London: Routledge.

18. Melikoff, Alexander M. (1984). *Imam Shamil and Russian Imperialism* . University of California Press.

19. Rasulov, Lutfi. (1993). *Dagestan in the Caucasian War* .Dagestan State Publishing House.